الفصل الأوّل
في نقض موضوع الندوة: ليست الأزمة أزمة الحضارة العربيّة

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

ان أول ما يلفت النظر في تلك اللـــوحة الفـــكرية التي ارتسمت في ندوة الكويت هو أن تحرك الفكر فيها قد تم مـــن زاوية نظر البرجوازية المسيطرة ، وكأثر تولّـده هذه السيطرة الايديولوجية ، حتى في وعي هذا الفكر لذاته ، أو بالأحـرى في وعي بعض منه ، كمحاولة نقد لهذه الايديولوجية المسيطرة. ولا غرابة في هذا القول ، فكل نقد لايديولوجية طبقية معينـة **بالضرورة باطل** ، ان كان نقدا لها من **موقعها** الطبقي نفسـه، اي من زاوية نظرها الطبقية . وصفاء النية لا يزيد النقد الا غموضا، أي يبطله . فكم من تعقيب على بحث أتى يدعم البحث من حيث أنه نقد له : اذ كيف نقبل بأوليات البحث، أي بأسسه النظرية ، ونرفض استنتاجاته ؟ هذا ما وقع فيه ، على سبيـل المثال ، التعقيب الأول على بحث الدكتور زكي نجيب محمود. بل هذا ما وقعت فيه أبحاث الندوة **جميعها بـلا استثناء** ، في قبولها الموضوع نفسه في شكله المطروح، أساسا لها ومنطلقا، أي في قبولها **المنطق** الذي يتضمنه شكل طرح الموضوع كمنطق ضمني لها يحددها ويسيّرها في منهجها واستنتاجاتها . من الطريف جدا ألا نجد بحثا واحدا يبتدىء بوضع الموضوع نفسه

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

موضع التساؤل · ولهذه الطرافة دلالة طبقية تتضح اذا نحن ابتدأنا من حيث يجب الابتداء ، أي من التفكير في **عبارات** الموضوع نفسها لاستجلاء منطق الفكر الذي يطرح الموضوع، أو قل لاستجلاء بنية الفكر التي هي ولّدت الشكل المحدّد من طرح الموضوع ·

لقد صيغ الموضوع المطروح على التفكير بالشكل التالي: « أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي » · ان الازمة كما تحددها صياغة الموضوع هي أزمة تطور· معنى هذا أن الحركة التاريخية تصطدم في مسارها بعقبة تحول دون استمرارها أو تعوق مسارها الطبيعي · واذا دققنا النظر في عبارة « الأزمة » ، رأينا أن التناقض في الحركة التي هي فيه شكل وجوده ، هو في «الأزمة» عائق للحركة بدلا من أن يكون دافعا لها · فالموضوع، اذن، هو تحديد هذا التناقض العائق للحركة التاريخية · وتحديد التناقض يكون بتحديد طرفيه ، ولا بد من أن يكون أحد هذين الطرفين هو العائق · فما هو العائق هذا ؟ لن نستبق البحث لنتعرف على ما كان العائق في نظر المؤتمرين، لأن هدفنا الآن هو هدف منهجي بحت نريد من الوصول اليه أن نظهر للقارىء كيف أن شكل طرح الموضوع يحدد بالضرورة سياقا معينا من التفكير ، أي طريقا معينا للفكر ، ان قبل الفكر السير فيه ، وصل بالضرورة الى جواب معين يتضمنه السؤال نفسه · وهذا ما حدث بالفعل ، اذ سار الفكر ، في ندوة الكويت ، في طريق السؤال الى جوابه · فلنتابع سياقه خطوة خطوة ، ولنتساءل عن معنى كلمة « التطور » ·

التطور ، بمعناه اللفظي الدقيق ، هو حركة

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

الانتقال من طور الى طور · وهنا يصح لنا ان نطرح عدة أسئلة : ما الذي يحدد حركة الانتقال هذه ، أو كيف نتعرف على أطوار هذه الحركة ، وفي أي اطار تتم، وما الذي ينتقل في هذه الحركة الخ ؟· قد يعترض القارىء على أسئلتنا هذه فيجد فيها مبالغة منا في تعقيد الامور ، لأن القضية واضحة بالنسبة اليه : فهي قضية المجتمعات أو البنيات الاجتماعية العربية المعاصرة في حركة انتقالها من طور الى آخر · ونحن مع القارىء في اعتراضه هذا لو كانت القضية عند المؤتمرين بهذا الوضوح · وللتدليل على هذا القول ، نطلب من القارىء أن يسير معنا ، بقليل من الصبر، في سياق تفكيرنا كي نرى معا المنحى الذي كان يمكن ان يأخذه التحليل لو كان الموضوع مركّزا ، في صياغته بالذات ، على الحركة التاريخية للبنيات الاجتماعية العربية · ان افتراضنا هذا يقود الى صياغة الموضوع بالشكل التالي ، مثلا : « أزمة تطور البنيات الاجتماعية العربية » · هنا ، أول مشكلة تظهر هي تحديد البنية الاجتماعية · ومن غير الدخول بتفاصيل هذا التحديد ، يمكن القول ان التحليل يقود بالضرورة الى رؤية تعقّد هذه البنية من حيث هي كلّ تترابط فيه مستويات بنيوية عديدة : اقتصادية ، سياسية ، ايديولوجية · وتحديد هذا الترابط يقود الى التركيز على بنية علاقات الانتاج من حيث هي القاعدة المادية الاقتصادية للبنية الاجتماعية · وهذا بدوره يقود بالضرورة الى تحديد **نمط الانتاج** المسيطر الذي تنتمي اليه هذه البنية الاجتماعية ، لأن **حركتها التاريخية** لا يمكن أن تتكشف الا في ضوء الحركة الداخلية الخاصة بهذا النمط من الانتاج الذي تنتمي اليه في وجودها المعاصر · فالتكلم على

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

تطور البنية الاجتماعية يستلزم بالضرورة تحديد الطور الذي يمر به نمط الانتاج المسيطر فيها ، لأن تقسيم الحركة التاريخية للبنية الاجتماعية الى أطوار يتم ، بكل دقة علمية ، قياسا على حركة نمط الانتاج هذا ، بمعنى أن أطوار البنية الاجتماعية هي ، في نهاية التحليل ، أطوار أنماط الانتاج نفسها · فالقول بوجود أزمة في تطور البنية الاجتماعية يعني، بكل دقة ، أن شيئا ما يعوق انتقال هذه البنية من طور الى آخر داخل نمط معين من الانتاج، أو من نمط انتاج الى آخر· وهذا يقود بدوره الى تركيز التحليل على قضية الانتقال هذه ، مما يقود بدوره الى البحث في حركة الصراعات الطبقية في البنيات الاجتماعية العربية، لأن حركة الانتقال تتحقق بحركة الصراعات الطبقية · هنا يأخذ الموضوع شكلا ملموسا أكثر ، لأن السير في تحليله يستلزم تحديد الطبقة أو الطبقات المسيطرة، وبالمقابل، تحديد التحالف الطبقي الثوري · في هذا الضوء يتضح معنى « أزمة التطور » ، وتتضح طبيعة العائق الذي تصطدم به حركة الانتقال هذه · فالتناقض في الازمة تناقض طبقي ، والعائق عائق طبقي ، وحركة الانتقال التي بها تجد الأزمة حلا لها ، حركة صراع طبقي ضد طبقة مسيطرة أو تحالف طبقي مسيطر · وهنا ، قد تختلف الآراء حول طبيعة هذه الطبقة أو حول طبيعة التحالف الطبقي الثوري ، وقد تختلف الآراء حول طبيعة أزمة التطور ، في هذا المنظار بالذات ، هل هي أزمة انتقال من طور الى طور داخل نمط الانتاج القائم ، مثلا داخل نمط الانتاج الرأسمالي المسيطر في البنيات الاجتماعية العربية ، أو أزمة انتقال من نمط انتاج الى آخر ، مثلا ، من نمط الانتاج الرأسمالي الى نمط الانتاج الاشتراكي داخل حركة

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

التحرر الوطني . لكن ، مهما اختلفت الآراء حول هذه القضية أو تلك ، يظل التحليل سائرا في خطه العلمي من حيث هو تحليل طبقي لحركة الصراعات الطبقية ولأزمات هذه الحركة. ولا يهمنا الآن القيام بتحليل آخر مواز للتحليلات التي قام بها أصحاب الفكر في ندوة الكويت . انما يهمنا قبل كل شيء ان نظهر للقارىء أن المشكلات التي أشرنا اليها سابقا قد طمست منذ البدء بالشكل الذي طرح فيه الموضوع على المؤتمرين فقبلوا به . فلنتابع اذن تفسيرنا لعبارات الموضوع كي نبيّن منطقه التضليلي وما يقود اليه من طمس للمشكلات الحقيقية .

التضليل حاضر منذ البدء في هذه العبارة بالذات : « أزمة التطور **الحضاري** » . فكلمة « الحضارة » **هنا في الظاهر بريئة** ، انما هي في الحقيقة مركز العلّة ـ ان جاز التعبير ـ لأن بها يتم ، بشكل خفي ، انزلاق الفكر من صعيد التحليل العلمي الى صعيد التضليل الايديولوجي . ولقد ساعد **انتفاخ** كلمة « الحضارة » أو صفة « الحضاري » على تحقيق هذا الانزلاق بخفة ، لأن انتفاخ الكلمة يكسب الفكر جديّة هو بحاجة اليها لاخفاء طابعه الايديولوجي . لنكن واضحين حول هذه النقطة ، ولندفع كل التباس: ليس لنا مأخذ على مفهوم « الحضارة » بحد ذاته ، ولسنا ننفي عنه طابع العلمية ، بشرط أن يتحدد في البدء هذا الطابع بكل دقة . انما المأخذ على استخدام معين يجعله يلعب دورا رئيسيا في طمس المشكلة التي يراد معالجتها .

ما المقصود « بأزمة التطور **الحضاري** » ؟ **اذا نظرنا** الى السؤال من زاوية نظر الفكر الذي سيطر على ندوة الكويت

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

وجدنا أنفسنا مرغمين على الدخول في تكهنات عدة تلعب كلها دورا واحدا هو الابتعاد عن طـــرح المشـكلة الحقيقية بطرح مشكلة أخرى تطمسها · ربما كان المقصود من السؤال هو أن المشكلة تكمن في انتقال « الوطـــن العـــربي » الى « طور الحضارة » ، بمعنى أن « الوطن العربي » ، أو « الانســـان العربي » ، أو « العرب » بشكل عام ، لا يزالـــون الى الآن في طور « ما قبل الحضارة » ·فاذا كان هـــذا هـكذا ، انحصر التاريخ بعامة في طورين : ما قبل الحضـــارة ـ واليه ينتمي تاريخ العرب ـ ، والحضارة ـ واليه لم ينتقل العرب بعـد ـ وهنا تكمن الأزمة · بهذا ، تنحصر الحضـارة ، من حيث هي حضارة ، في شكلها المعاصر المسيطـر · وغني عن القول ان شكلها هذا هو ، ضمنيا ، شكلها الغربي ، أي بتعبيرنا نحن ، الرأسمالي الامبريالي · واما أن يكون المقصود شيئا آخر هو أن المشكلة ليست في انتقال « العرب » من طور ما قبل الحضارة الى طور الحضارة ، بل في انتقال « الحضارة العربية » مـن شكلها السابق الى شكل حاضر لم تصل اليه بعد ، هو شكـل « الحضارة المعاصرة » ، الذي ليس لها ، والذي عليهـــا أن تكتسبه · وربما كان المقصود أن « الحضارة العربية » تعاني من أزمة تطور فيها ، بمعنى أن عليها أن تجد حلا لأزمتها هذه دون الانتقال الى شكل ليس منها ، بل بالسير في خطها نفســه الى شكل حاضر هو **واحد** ، لأن « الحضارة » واحدة من حيث هي « حضارة انسانية » سائرة في خط صاعد مستمر · فاذا كان هذا هكذا ، انحصرت المشكلة في أن « أزمة الحضـــارة العربية » تكمن في ضرورة اللحاق بما وصلت اليه « الحضارة الانسانية » من « تقدم » ، **وحيث** وصلت اليه ، أي فـــي البلد

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

الذي وصلت فيه الى هذا « التقدم » المستمر ·

ومهما يكن من أمر هذه التكهنات أو التأويلات ، فانها تصب كلها في مركز واحد هو أن الازمة « أزمة حضارة » ، وأن التي هي في أزمة هي « الحضارة العربية » · وأزمة هذه الحضارة هي « أزمة تطور » ، أي عدم قدرتها على الوصول الى ما وصلت اليه « الحضارة الانسانية » من « تقدم » · لقد كانت زاهرة ، ثم دخلت في طور انحطاط طويل لم تخرج منه بعد · فلماذا تخلّفت عن سير الحضارة ، وكيف الوصول الى « التقدم » ؟ وهل ستحافظ على « أصالتها العربية » في سيرها الى « الحداثة » ؟ هكذا يخطط الفكر للفكر بسؤال يلزمه استخراج الجواب الذي يتضمن ، فيتولّد الوهم بأن الفكر حر في تحركه ، ولا تحرر الا بنقد للسؤال يفضح الطابع الايديولوجي الطبقي للفكر الذي يضع السؤال وجوابه · لقد تحدد سير البحث في القضية التي كان على الفكر العربي الحاضر في ندوة الكويت أن يعالجها ، قبل البدء بالبحث ، فمجرد الاقرار بأن الازمة التي تعاني منها مجتمعاتنا العربية القائمة هي أزمة الحضارة العربية ، يفرض على الفكر اتباع منهج يبتعد فيه عن معالجة الأزمة الفعلية من حيث هي أزمة هذه المجتمعات في بنياتها القائمة ، ليسير في اتجاه آخر هو اتجاه البحث عن أسباب هذه الأزمة في **بنية الحضارة العربية** نفسها ، فيرتدّ بهذا الى الماضي للبحث عن أسباب علّة الحاضر ، مستندا في ارتداده هذا الى منطق ضمني يقيم التماثل بين الحاضر والماضي ، اذ الاثنان من **جوهر واحد ثابت** ـ وان تغيّر في **مظاهره** ـ هو « الحضارة العربية » · لذا ، كان

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

طبيعيا البحث عن «الأبعاد التاريخية لأزمة التطور الحضاري»، (وهذا هو موضوع بحث الدكتور شاكر مصطفى مثلا) ، وكان طبيعيا أيضا ، في ضوء هذا المنطق ، تفريع البحث الى ميادين عدة ، يتركز فيها البحث مثلا على « الابعـــاد الحضـــارية » « للتخلف السياسي » أو الفكري أو الديني أو الاخلاقي ، الى غير ذلك من أبحاث الندوة · بما أن العـــلة « حضـــارية » ـ وليست اجتماعية تاريخية محددة ـ فهي اذن متأصلة في بنية « الانسان العربي » أي في جوهـــره ، ولا بد من الرجوع الى الأصل لتلمس الداء · ولئن بعد الأصل في التاريخ قرونـــا ، فهو دوما واحد مستمر في تماثله حتى الحـــاضر لأنه جوهر الحاضر · والغريب في أمر هذا المنهج الذي سار فيـــه الفـــكر في أبحاث ندوة الكويت أنه يتضمن فهما معينا لحركة التـــاريخ تنعدم فيه تقطعات هذه الحركة وقفزاتهـــا البنيوية فتظهر في شكل حركة يتولّد فيها الحاضر من الماضي بعمليـــة استمرار للماضي ، لا بعملية قطع معه ، لأن الحاضر موجود في الماضي نفسه ، (او قل انه ليس سوى ما وصل اليه الماضي في حركة استمراره التاريخية) · هذا الفهم المعـــين لحركة التـــاريخ سنراه مثلا في بحث شاكر مصطفى ، وسنراه أيضا في مفهوم « الاستمرارية التاريخية » عند أنور عبد الملك · بل سنراه أيضا يتحكم ببحث فؤاد زكريا ، برغم ما في هذا البحث من محـــاولة لاظهار العلاقة بين الحاضر والماضي في شكل علاقة «جدلية» يتولّد فيها الحاضر بعملية تجاوز الماضي لذاته ، أي بحـــركة من التجاوز الذاتي يصير فيها الماضي حاضرا · هذه الحركة الهيجليـــة هي التي تسمح بقراءة الحاضر في الماضي ، ومـــا قراءة الحاضر هذه سوى استقراء الماضي لذاته · بهذه اللعبة

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

الذهنية ، تمكّن الفكر في ندوة الكويت من أن يظهر أبحاثه في شكل معالجة علمية للواقع الحاضر لبنياتنا الاجتماعية العربية ، لكن الحقيقة هي أن هذا الواقع قد فلت منه ، لأنه بالذات حاول أن يقرأه في الماضي بدلا من أن يقرأه في ذاته، أي في علاقة القطع التي تربطه بالماضي . ان الحاضر هو الذي يملك مفتاح الماضي ، وليس العكس ، على حد تعبير ماركس ، لأن حركة التاريخ ليست استمرارا أو تواصلا وتتابعا ، بل هي حركة تقطّع تترابط فيها أنماط الانتاج في قفزاتها البنيوية من نمط الى آخر بشكل يستحيل فيه قراءة نمط الانتاج الرأسمالي مثلا في بنية نمط الانتاج الاقطاعي أو الاستبدادي أو انطلاقا منها . ان العلاقة بين هذين النمطين من الانتاج في الحركة التاريخية للبنية الاجتماعية ليست علاقة استمرارية يتولد فيها الاول تدريجيا من الثاني وبحركة الثاني، بل هي علاقة قطع بنيوي ، بمعنى أن بين الاثنين اختلافا بنيويا هو الاختلاف القائم بين بنية علاقات الانتاج الرأسمالية ، وما يقوم عليها من بناء فوقي (كالدولة وأجهزتها ومختلف الاشكال الايديولوجية للوعي الاجتماعي ، من فن وفلسفة ودين وأخلاق وقيم وعادات وتربية الخ ...) ، وبين بنية علاقات الانتاج الاقطاعية مثلا أو الاستبدادية ، وما يقوم عليها أيضا من بناء فوقي يتلاءم معها ولا يفهم الا في علاقة تلاؤمه البنيوية بها . ان فهم تطور بنية علاقات الانتاج الرأسمالية مثلا في البلدان العربية في الوقت الحاضر ، وفهم أزمات هذا التطور يستلزم بالضرورة الانطلاق بالتحليل من هذه البنية بالذات في شكل وجودها القائم في كل من البلدان العربية . وقد يقود التحليل الى ضرورة الكشف عن **تاريخ تكوّن** هذه البنية ، الا أن هذا

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

التاريخ ، من حيث هو **تاريخ تكون علاقات الانتاج الرأسمالية** في البلدان العربية ، لا يبدأ مع ظهور الاسلام مثلا ، أو مع الجاهلية، أو مع بدء العصر العباسي أو الاموي أو الاندلسي أو عصر الانحطاط الخ ... ، بل هو يبدأ مع بدء **التغلغل الامبريالي** في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ان المؤتمرين جميعهم يعلمون أن نمط الانتاج المسيطر في البلدان العربية هو نمط الانتاج الرأسمالي ـ أو شكل تاريخي محدد منه هو الشكل الكولونيالي ـ ويعلمون أيضا أن الرأسمالية في أوروبا ترسخت أسسها في القرن التاسع عشر أو في نهاية القرن الثامن عشر . فالرجوع في التاريخ الى الجاهلية أو الاسلام ، أو قل الى ما قبل بدء تكون العلاقات الرأسمالية في أوروبا الغربية نفسها ، ليس ضروريا لفهم تاريخ تكون البنيات الاجتماعية العربية القائمة حاليا ، من حيث هو تاريخ تكون علاقات الانتاج الرأسمالية فيها . فلماذا اذن الرجوع بالمجتمعات العربية في حاضرها الى هذا التاريخ البعيد الذي يفصلها عنه زمان عدة أنماط من الانتاج ، لفهمها في حاضرها بالذات ؟ لا شك في أن أشكالا من الانتاج سابقة على الانتاج الرأسمالي لا تزال حاضرة في حاضر البنيات الاجتماعية العربية . انما هذا لا يبرر على الاطلاق اتباع منهج الرجوع هذا في محاولة فهم الحاضر ، بل ان استمرار تلك الاشكال السابقة من الانتاج لا يمكن فهمها بذاتها أو بارجاعها الى ما كانت عليه سابقا حين كانت مسيطرة ، ففهمها في حضورها الآن في المجتمعات العربية ليس ممكنا الا في علاقتها ببنية علاقات الانتاج الرأسمالية في هذه المجتمعات . ان الحاضر مفتاح الماضي وليس العكس ، والانطلاق ، في فهم الحاضر،

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

من بنية الحاضر نفسه يتضمن فهما معينا لحركة التاريخ تتقطع فيه الحركة هذه قياسا على حركة أنماط الانتاج نفسها ، وهو، لهذا ، يتضمن أيضا منهجا من التحليل يستلزم ، في محاولة فهم الواقع الاجتماعي في حاضره وفي تطوره ، تحديد بنية علاقات الانتاج فيه ، لان تطور هذا الواقع يتحدد بالضرورة بتطور هذه البنية بالذات · فان مرّ هذا التطور بازمة ، وجب تحديد هذه الازمة على أنها **أزمة هذا الانتاج** المسيطر في هذا الواقع الاجتماعي · وهي بالتالي **أزمة الطبقة المسيطرة** فيه، **أي أزمة سيطرتها الطبقيه** ·

اذن ، بين منهج من التحليل يقود الى اظهار أزمة التطور التاريخي للواقع الاجتماعي في شكلها الحقيقي كأزمة خاصة بالطبقة المسيطرة ، ومنهج من التحليل يقود الى اخفاء هذه الأزمة باظهارها في شكل أزمة عامة هي أزمة حضارة ، نقول ان بين المنهجين اختلافا هو الاختلاف القائم بين زاويتين من النظر طبقيتين: زاوية نظر الطبقة المسيطرة وزاوية نظر الطبقة الثورية النقيض ، وهو الاختلاف القائم بين زاوية نظر ايديولوجية وزاوية نظر علمية · فالاولى ايديولوجية ، لأن من مصلحة الطبقة المسيطرة أن تخفي أزمتها وأن تتبرأ من مسؤوليتها الطبقيه في وصول الواقع الاجتماعي بتطوره الى أزمة · والثانية علمية لا تتناقض مع زاوية نظر الطبقة الثورية النقيض ، لأن من مصلحة هذه الطبقة أن تكشف الحقيقة الفعلية لأزمة التطور الاجتماعي · ان اظهار أزمة الحركة التاريخية للبنيات الاجتماعية العربية في شكل «أزمة الحضارة العربية» هو اخفاء لحقيقة هذه الازمة من حيث هي **أزمة البرجوازيات**

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

العربية المسيطرة في قيادتها حركة التحرر الوطني . هنا يكمن التضليل الايديولوجي في استخدام عبارة « الحضارة » ، في هذا الدور الذي تلعبه في نقل القضية من صعيد التحليل الطبقي للحركة التاريخية للبنيه الاجتماعية ، الى صعيد التحليل الجوهري ، اي العيبي . لما يمكن تسميته بقدر الحضارة العربيه . وقولنا هذا ليس معناه أن التحليل الطبقي كان غائبا عن أبحاث ندوة الكويت ، بل كان ، بالعكس تماما ، حاضرا فيها ، انما من زاوية نظر البرجوازيات العربية المسيطرة . فالميزة الاساسية للتحليل الطبقي البرجوازي هي اظهار الاشياء بمظهر برىء تجريدي تنتفي فيه علاقتها بحركة الصراعات الطبقيه الخاصة بكل بنية اجتماعية محددة .

قلنا ان منطق الفكر الذي تحكم بأبحاث المؤتمرين حدد الازمة بكونها أزمة الحضارة العربية . وأزمة هذه الحضارة ، في ضوء ذاك المنطق ، تكمن في علاقة ماضيها بحاضرها ، أو قل في علاقة الماضي بالحاضر فيها . من هنا أتى تحديدها كأزمة تطور ، أي كأزمة انتقال من الماضي الى الحاضر . بل ربما كان الأصح القول : انتقال الماضي الى الحاضر . هذه العلاقة كانت مركز الابحاث كلها . ظهرت بمظهرين هما في الحقيقة مظهر واحد من حركة جوهر واحد : التقدم والتخلف ـ الأصالة والحداثة . وما الزمان ، أي التاريخ سوى حركة هذا الجوهر الذي هو الحضارة العربية . العلاقة في هذه الحركة بسيطة لأنها تنحصر في علاقة الذات بالذات ، من حيث هي علاقة زمانية بين ماضي الجوهر وحاضره ، أو في علاقة الذات بالغير ، من حيث هي علاقة مكانية بين حاضر الجوهر

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

أو الذات وحاضر الغير · المأساة في حركة العلاقة الزمانية موجودة ان رفض ، او صعب على الذات ان يتجاوز ما كانه الى ما عليه أن يكون في ذاته وبذاته ، فان قبل بتجاوزه لذاته وبذاته انتفت المأساة · وهي في حركة العلاقة المكانية موجودة ان كان انتقال الذات الى حاضره انتقالا الى حاضر الغير كغير ، أي فقدانا للذات ولتماثله بذاته · أما اذا كان انتقاله الى حاضر الغير انتقالا الى حاضره نفسه ، أي اذا كانت العلاقة بين حاضر الغير وحاضر الذات علاقة تماثل . فان المأساة حينئذ تنتفي ·

هذا هو المنطق المثالي الغيبي الذي يحرّك أبحاث المؤتمرين · فليس من الغريب أن نجد في بعض هذه الابحاث عطر الجدلية الهيجلية متفشيا بشكل فاضح ، وهذا ما سنراه في حينه ·

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

الفصل الثاني
في نقض مشكليّة «التخلّف والتقدّم»: منطق الوضعيّة في خدمة البرجوازيّة

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

١ ـ المقياس والنموذج ٠

العلاقة ، في سيـــر الحضارة العربية ، بين الماضـي والحاضر ، علاقة بين التخلف والتقدم ٠ هكذا يطرح الدكتور زكي نجيب محمود قضية الواقـــع الاجتماعي التاريخي في العالم العربي ٠ ومنطق الفكر عند هذا الكاتب واضح حتى البساطة ٠ انه منطق الفكر الوضعي ، بل التجريبي٠٠ فحركة التاريخ عنده حركة خطية مستمرة واحدة في سيرها الصاعد او المتقـدم ٠ لذا كان مقياس الحضارة **مقياسا كميا** ٠ فلئن أردنا أن نقيـم الحضارة العربية ، أي أن نقيسها ونتعـرف على المستوى الحاضر الذي وصلت اليه في سيرها التطوري ، وجب علينا أن نقيسها على ما وصلت اليه الحضارة بشكل عام من تطور في البلدان الأخرى ، أي أن نقيسها على **الدرجة** التي وصلت اليها الحضارة في هـــذه البلدان ٠ فالحضارة واحدة وسيرها مستمر نحو الصعود ، والاختلاف القائم بين المجتمعات في تطورها التاريخي أو الحضاري هو اختلاف في النسبة الكمية لما قطعه كل مجتمع من طريق أو مسافة من هذا

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous

الخط الزماني الواحد للحضارة · لذا كانت القضية مجرد قضية **تخلف** أو **تقدم** بالمعنى الكمّي للكلمة · فمن الطبيعي اذن ، في ضوء هذا المنطق البسيط ، أن يكون المجتمع الأكثر تقدما ، أي الذي قطع المسافة الأكبر في السير الحضاري الواحد ، **نموذجا** أو مثالا أعلى يتبعه المجتمع المتخلف عنه في سيره الحضاري · بهذا تسهل كثيرا معالجة الواقع الاجتماعي الحاضر في العالم العربي ، لأنها تنحصر في الرد على هذه الاسئلة :

١ ـ هل الحضارة العربية متخلفة عمّا وصلت اليه الحضارة في البلدان الأخرى ؟

الجواب : نعم ·

٢ ـ أين وصلت الحضارة في سيرها الى درجتها الأكثر تقدما ؟

الجواب : في أوروبا الغربية وأميركا ·

٣ ـ كيف تتجاوز الحضارة العربية تخلفها ؟
الجواب : باتباعها نموذج أوروبا الغربية وأميركا ·

ملاحظة : هذا النموذج كامل ·

هل في هذا العرض لمنطق الفكر عند الدكتور محمود تشويه له ؟ السؤال هذا نحن نطرحه ونجيب عليه بالنفي القاطع · ولئن أراد القارىء أن يقتنع بما نقول ، فليسمح لنا اذن بأن نحلل ، مع شيء من التفصيل ، ذلك المنطق الوضعي ·

STUDENTS-HUB.com Uploaded By: anonymous